

دور المرجعية في الدفاع عن الدين و مواجهة التيارات المنحرفة

(دراسة تحليلية في الدوافع والوسائل والأهداف)

م.م.سيد رائد أميري تهراني زاده .

م.م.فاطمة آزادي منش .

ملخص البحث

تعددت أدوار الأفراد في بناء وتغيير المجتمع ولكل مساحته ودائرتة الفكرية التي يتحرك ضمنها ويسعى من خلال تحركه الوصول لهدفه .

ومن ضمن الأفراد الناشطين في تنمية وتبديل واقع ومستقبل أمتنا مجموعة من صفوة البشر الذين اختاروا طريق الحق والمناشدة لبناء الإنسانية بمفاهيم أخلاقية دينية ذات قيمة ، وتسعى لرقى الأمة وإبصالها أعلى مدارج الكمال الإنساني الذي أراده الله تعالى لنا .

المراجع والمرجعية والدور الذي تلعبه في صناعة الإنسان النموذجي تستحق البحث وتناول موضوعها كموضوع تربوي تنموي جهادي تفاعلي يخدم قضايا الدين والوطن ، وتشكل حصنا منيعا دفاعيا يحمي مقومات بناء الوطن وقدراته وثرواته .

في هذا البحث المتواضع تناولت طريقة البحث التحليلي التوصيفي من خلال إظهار الأفكار التالية في رحلة استكشاف موقعية وأهمية ودور المرجعية تتضمن هذه الرحلة الاستكشافية قراءة مايلي :

الفصل الأول : أهمية المرجعية و موقعيتها في المجتمع .

١-تعريف حول البحث .

*تعريف المرجعية .

تعريف الدين .

*تعريف التيارات المنحرفة .

٢-موقعية وأهمية المرجعية في المجتمع :

*الدور الرسالي التبليغي .

*الدور التثقيفي التوعوي .

*الدور الجهادي المقاوم الدفاعي .

الفصل الثاني : دوافع المرجعية في الدفاع عن الدين ومواجهة التيارات المنحرفة .

١-دوافع ثقافية :

*دوافع دينية .

* دوافع وطنية .

٢- دوافع اجتماعية :

*حماية التراث والعادات الأصيلة .

*حماية القيم الأخلاقية للمعاملات الإجتماعية .

*حماية أواصر الوحدة الوطنية والدينية .

* حماية الفرد المواطن .

الفصل الثالث : وسائل المرجعية وأساليبها في الدفاع عن الدين ومواجهة التيارات

المنحرفة .

*إقامة المؤسسات الدينية التبليغية التخصصية.

*إقامة مجالس العلم والمباحثة للقضايا التي تهم المجتمع .

*نشر كتب ومؤلفات تربوية دينية أخلاقية تثقيفية ذات هدف سامي .

*الراديو والتلفاز.

*المهمات الدبلوماسية .

معسكرات للشباب المسلم .

*بث المبلغين المتخصصين الدينيين في مناطق الفقر الفكري والتوعوي .

*الوسائل الإلكترونية وتسخير الفضاء المجازي والانترنت للهدف المرجو .

*إعداد الأفلام الوثائقية والسينمائية والبرامج الدينية التوجيهية .

٢- الوسائل الجهادية الحربية الدفاعية المقاومة :

*خطابات المرجعية العقائدية التشويقية.

*التحرك النفسي.

* التحرك العملي.

*المواجهة بكافة الأشكال المتاحة .

نتائج البحث .

في نتائج البحث أذكر النقاط المستنتجة من الفصول والعناوين السابقة المذكورة والتي تتمحور حول الهدف من حركة المرجعية الدفاعية والوقائية والمقاومة لحماية الدين والوطن من الأضرار والخسائر التي تسببها التيارات المنحرفة ؛ التي تهدد كيان ومستقبل الدين والوطن والفو المواطن سواء أكان مسلما أو غير مسلم ؛ ذلك أن الإسلام عندما جاء ضمن حقوق كافة المواطنين من جميع الديانات ليكونوا تحت ظل دولة إنسانية تحفظ كرامة الإنسان بما هو إنسان وتعطيه مايليق به وتحقق له منابع استلهام العلم والفكر السليم وتوفر له الوسيلة للوصول للهدف من الوجود الإنساني في جعل الكمال واقع محقق لكل من أراده .

المقمنة

إن المتتبع للتاريخ الإنساني يلاحظ وجود تلك الفئة التي تحرس الدين والوطن بكل ما أوتيت من قوة وهذه الفئة تتمثل بالأنبياء ومن تبعهم من الأولياء والأوصياء والصالحين ؛ فلاعجب وهم خليفة الله تعالى على الأرض والانعكاس الرباني على البشرية بلسان بشري .

قال تعالى في كتابه الكريم : { وإذ قال ربك للملائكة إني جاعل في الأرض خليفة ... } (٣٠) ، سورة البقرة .

واستمرت الوظيفة الإلهية في حماية الإنسان من كل ما يهدد حياته ومستقبله وكيانه الفكري والروحي وحتى المادي سارية ليومنا الحالي من الأنبياء إلى ورثتهم علماء الدين الذين أخذوا على عاتقهم تحصين المجتمع مما يواجهه من تحديات غربية وتيارات منحرفة ومخربة للدين الأصيل الحصن المنيع لسلوك أفرادهِ .

والمرجعية اليوم وبما أظهرته من مواقف جلية في الدفاع عن الدين ومقدساته ودحر بؤر الظلم والجور وسد ثغرات الظالمين في مجتمعاتن تستحق أن تتناولها إقلام الباحثين للدراسة حولها وعن أهمية دورها في بناء المجتمع .

هذه الفئة العظيمة من مجتمعنا صاحبة العلم النافذ والبصيرة والمتحلية بكمالات روحية تبعث في الكتل الوطنية حس الوطنية وإهمية الدفاع عن مقدرات الوطن وثرواته كان لها الدور البارز والحي والمنعش في إحياء أمتنا الإسلامية التي حاول العديد من أعدائها طمس معالم أصالتها وتراثها الإسلامي وإخفاء معالم عروبته ؛ وجعلها عبدة فكرهم المنحرف الضال .

المرجعية المتمثلة بعلماء الدين العظام وما يتعلق بهم من ممثليات سعت من خلال دراسة وضع الأمة إلى كف يد الأذى وبترها عن تخريب الوطن والدين وبذلك استحققت وبجدارة في يومنا الحاضر أن تكون محور دراسات تحليلية وبحثية تدرس تلك التوجهات الربانية ومالديها من قوة عقائدية إيمانية وتبثها في أرواح المواطنين من كل الفئات وعلى اختلاف الأعمار والتخصصات وبذلك كانت وسيلة توحيد نموذجية يقتدى بها في مجالات حياتنا لتحقيق تلك الدرجة التي يسعى الكثيرون منا لنيلها وهي درجة الكمال الإنساني والبحث عن مقوماته وأدواته وطرق تحقيقه والتي لا تتم إلا من خلال تتبع آثار هذه الثلة المميزة من مجتمعنا الإسلامي الحاضر لها والتفاف الجماهير المناضلة حولها وسببه عوزها في يومنا الحالي لمثل هذه الأسوة القادرة على تشخيص طرق نيل الحرية والاستقلال والعلم والمعرفة وبالتالي الكمال الإنساني المتمثل كذلك بالعبودية لله جل وعلا لا لغيره .

قال رب العزة في محكم كتابه الشريف : { وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون } الآية (٥٦) ، سورة الذاريات .

البحث يتناول عدة أفكار أساسية منها :

دوافع المرجعية في الدفاع عن الدين .

وسائلهم في تحقيق الحرية والاستقلال وإبعاد الضالين عن مجتمعنا .

الأهداف المرجوة من عملية حماية الدين والوطن من التيارات المنحرفة والفكر الغربي الذي يعتبر اليد الخفية وراء تلك الحركات لتخريب ماتبقى من أصالة وتراث إسلامي الذي نعتبره الذخيرة الأمثل لتحسين سلوكيات أفراد الوطن عن الفكر الانحرافي .

الفصل الأول : أهمية المرجعية وموقعيتها في المجتمع

١-تعريف حول البحث .

*تعريف المرجعية .

*تعريف الدين .

*تعريف التيارات المنحرفة .

٢-موقعية وأهمية المرجعية في المجتمع :

*الدور الرسالي التبليغي .

* الدور التنقيفي التوعوي .

*الدور الجهادي المقاوم الدفاعي .

الفصل الأول : أهمية المرجعية وموقعيتها في المجتمع

تعتبر المرجعية من الأعمدة الأساسية في بناء هيكليّة المجتمع التربوية التعليمية الثقافية ومن عناصر الحفاظ على مرتكزات الأصالة والتراث الديني والوطني .

والموقعية التي تشغلها المرجعية في حياتنا لا تقل أهمية عن أي موقعية قيادية في الأمة.

فالمرجعية تحاول من خلال ما استمدته من المدرسة الإلهية العليا ومن منابع الإسلام الأصل أن تبني الفرد بما هو فرد في هذا المجتمع ومن ثم الأسرة ومن بعد ذلك الإنطلاق للمجتمع ككل .

وفق استراتيجية وطريقة علمية محكمة معتمدة على الحداثة العلمية والحكمة والبصيرة النيرة المستلهمة من مدرسة أهل البيت (عليهم السلام) .

١-تعريف حول البحث:

*تعريف المرجعية :

المرجعية كما هي مصطلح متعارف عليه تطلق على المجتهد الواصل لمرحلة الاجتهاد والإفتاء .

-تعريف الاجتهاد لغة : [جهد : استفراغ الوسع في مدافعة العدو ، ومنها قوله تعالى : { وجاهدوا في الله حق جهاده } الآية (٧٨) ، سورة الحج .

والاجتهاد والتجاهد : بذل الوسع ، والمجهود بذل الوسع في طلب الأمر ؛ وهو افتعال من الجهد الطاقة .[١] .

-تعريف الاجتهاد اصطلاحاً : [قال المحقق الحلي : (فإنه يقال اجتهد في حمل الثقل ولا يقال ذلك في حمل الحقيير .) ومثله في (المعالم) وكذا الرازي في (المحصول) : فلا يقال : استفراغ وسعه في حمل النواة فعرفه العلامة الحلي بأنه : (استفراغ الوسع من الفقيه لتحصيل الظن بالحكم الشرعي .[٢]) .

وعرف الشيخ البهائي الاجتهاد بأنه : [ملكة يقتدر بها على استنباط الحكم الشرعي الذي من الأصل فعلاً أو قوة قريبة .[٣]) .

وعرفه الشيخ العاملي بأنه : [استفراغ الفقيه وسعه في تحصيل الظن بحكم شرعي .[٤]) .

ومن هذه التعاريف يتبين لنا أن مقام المرجعية هي مقام الاجتهاد وتحمل المسؤولية في البحث عن أجوبة المسائل الشرعية والأحكام .

وبما أننا مسلمون ومكلفون بمعفة التكاليف الشعبية المتعلقة بأسلوب حياتنا الإسلامي والمرتكز على قيم ومبادئ إسلامية راجعة إلى الهوية الإسلامية لكل فرد منا قال تعالى في كتابه العزيز: { يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول و أولي الأمر منكم فإن تنازعتم في شيء فردوه إلى الله و الرسول إن كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر ذلك خير و أحسن تأويلا . } (٥) ؛ كان علينا الرجوع فيها إلى صاحب تلك المسؤولية وهو المرجع المجتهد في بذل الوسع للإجابة على تساؤلاتنا حول تكليفاتنا الشرعية تجاه المواقف التي نواجهها ومن تلك المواقف مواجهة التيارات المنحرفة وحماية الدين والوطن والدفاع عن مقدسات الأرض والعقيدة .

*تعريف الدين :

تعريف الدين لغة: [الدين : دين الإسلام صفة الأديان .سورة البقرة ، الآية : ١٣٢ ، الدين : العبادة والطاعة ، سورة العنكبوت ، الآية : ٦٥] (٦)

-تعريف الدين اصطلاحاً : [وليس كلمة الدين – كما يتبادر منه بدوا – ماكان يوجه البشر إلى الآخرة محضاً ، بل الدين : السياسة العظمى الكافلة لجميع أنحاء السعادات الجزئية والكلية ، الدنيوية والأخروية ، ولذلك نجد أن الإسلام جامع شتات المسائل الروحية والمادية والفردية والاجتماعية] (٧).

فالدين إذا هو الطيق الذي يضمن السعادة للأفراد مما سبق .

*تعريف التيارات المنحرفة :

يراد من التيارات المنحرفة تلك الجهات التي تحاول تخريب الدين بتخريب مقوماته من وطن وأفراد وتسعى لإيجاد شرخ في صفوف المجتمع الواحد وبكافة طبقاته لتحقيق غاياتها في بسط السيطرة والنفوذ وتجعل أفراد المجتمع الإسلامي عبيدا لديهم .

ففي حديث لآية الله الخميني (رحمه الله) : [...كان المسجد والمنبر في صدر الإسلام مركزين للنشاطات السياسية ، خطط الكثير من الحروب الإسلامية وضعت في المسجدوالغزاة الغربيون توصلوا من خلال دراساتهم للشرق إلى ضرورة إفراغ المسجد

والمحارب والمنير والجامعة من عطاء....والذط عملوه في كل هذه المجالات هو أنهم سخرُوا إعلامهم ووسائل دعاياتهم إلى إبعاد الدين عن السياسة... [(٨)].

قال تعالى : { ...اهدنا الصراط المستقيم صراط الذين أنعمت عليهم غير المغضوب عليهم ولا الضالين . } (٩)

٢- موقعية وأهمية المرجعية في المجتمع :

إن الدور الذي تلعبه المرجعية في مجتمعنا دورا هام وفعال ويخدم مصالح الإنسانية ؛ ذلك أنها تحمل هموم الأمة وتسعى لحل مشكلاتها و استيعاب شبابها وجعلهم ضمن كتل حزبية تناضل لنهضة الأمة والإرتقاء بها بحل قضاياها وتحليل الوقائع والرجوع للكتاب والسنة لفهم الإرادة الإلهية في تحديد مواقف الأفراد تجاه حياتهم وكيفية سلوك وعبور طريق الحياة براحة بال وبنقة .

المرجعية التي لم تصل إلى موقعيتها إلا بعد نضال فردي شخصي اعتمده نفس المرجع بتصميم وإرادة في تبليغ الرسالة الربانية التي كانت الشغل الشاغل للأنبياء والأولياء سابقا .

ورد في خطاب لآية الله المجاهد روح الله الخميني (رحمه الله) مايدل على هذا المعنى قائلا :

[....ولم يكتف الأئمة (عليهم السلام) بأن يقوموا بمحاربة الأنظمة الظالمة والدولة الجائرة و أتباع البلاط الفاسدين ، بل حثوا المسلمين على جهادهم أيضاومن جهة أخرى وردت كل تلك الروايات في مدح وتفضيل العالم والفقير العادل ونبهت إلى أفضليتهم على سائر الناس .فهذا كله يمثل خطة وضعها الإسلام لتشكيل الحكومة الإسلامية ، وذلك من خلال إبعاد الناس وصرفهم عن الأنظمة الظالمة ، وتخريب بيوت الظلم ، وفتح أبواب الفقهاء العدول المتقين المجاهدين العاملين في سبيل تطبيق الأحكام الإلهية وإقامة النظام الإسلامي .] (١٠).

أدوار المرجعية :

*الدور الرسالي التبليغي :

يتمتع المرجع بمنصب التبليغ الرسالي الذي يعتبر من أعلى المقامات وإشرفها ، وهذا الشرف العالي والمفخرة إنما مأخوذ من سنخية ارتباط العالم والمرجع بالكمال المطلق وهو الله تعالى ومرتبب كذلك روحيا بالهدف السامي الذي يتصوره ويستحضره ذهنيا قبل الالتقاء به وذلك اعتمادا على عقيدة متينة وقوة وطاقة إيمانية جبارة تجعله متيقنا ووثقا من تحركاته التبليغية الرسالية .

قال الإمام موسى بن جعفر (عليه السلام) : " فقيه واحد ينقذ يتيما من أيتاما ، المنقطعين عن مشاهدتنا ، والتعلم من علومنا أشد على إبليس من ألف عابد ؛ لأن العابد همه ذات نفسه فقط ، وهذا همه مع ذات نفسه و ذات عباد الله وإمائه ، لينقذهم من يد إبليس ومردته ، وكذلك هو أفضل عند الله من ألف عابد و ألف عابد . " (١١) .

وقال الإمام علي (عليه السلام) : " من كان من شيعتنا عالما بشريعتنا فأخرج ضعفاء شيعتنا من ظلمة جهلهم إلى نور العلم الذي حبونه به جاء يوم القيامة وعلى رأسه تاج من نور يضيء لأهل تلك العرصات . " (١٢) .

*الدور التثقيفي التوعوي :

تعمل المرجعية -انطلاقا من وظيفتها في الحفاظ على أصالة الأمة ودينها وحماية الوطن -على خلق أجواء توعوية ثقافية تفتح آفاق الفكر وتوسع الإدراكات لفهم كل مايدور حول المجتمع وبنائه وتبعث في العقول ضرورة اكتساب العلم والمعرفة لتجنب الوقوع في الأغلاط والاشتباهات التي تدهور شبابنا المسلم وتنهب فئات المجتمع من خلال وسائلها إلى ضرورة تطبيق المفاهيم العلمية والدينية للسير نحو حضارة راقية غير تلك التي تحاول الأيدي الغربية المغلولة صنعها لنا .

[عن أبي عبد الله (عليه السلام) : " إن العلماء ورثة الأنبياء ، وذلك أن الأنبياء لم يورثوا درهما ولا دينارا ؛ وإنما أورثوا أحاديث من أحاديثهم ، فمن أخذ بشيء منها فقد

أخذ حظا وافرا . "] (١٣)

الدور الجهادي المقاوم الدفاعي :

لم يقتصر على المراجع الدور الرسالي التبليغي والدور التوعوي الثقافي فحسب وإنما اتسعت دائرة وظيفة المرجع ليكون الحارس والمحامي والمجاهد والمدافع عن الدين والوطن ورد الظالمين والمنحرفين وجعل الأرض طاهرة غير مدنسة بأقدام الطغاة . ولو أنه لاحظنا محاولات التيارات المنحرفة في جعل الأمة غارقة في ويلات اقتصادية وزرعت مخالب الفتنة الطائفية بين صفوفها ونشرت ثقافة مزيفة بعنوان التمدن والحضارة إلا أن تلك الألباب المستبصرة والمتيقظة وعت ماتريده تلك التيارات المنحرفة من نوايا لتخريب مستقبل أجيال المجتمع الإسلامي ؛ ووقفت مواقف جهادية وانطلقت للميادين والساحات معبرة عن رأيها السديد .

هي نعم ألباب مراجع الأمة الإسلامية ومفخرة الشعوب المناضلة في وجه الإستكبار والضلال .

قال الله جل وعلا في كتابه العزيز: { وما كان المؤمنون لينفروا كافة فلولا نفر من كل فرقة منهم طائفة ليتفقهوا في الدين ولينذروا قومهم إذا رجعوا إليهم ... } (١٤).

تقوم المرجعية بإنذار الشعوب بما تخططه أيادي الغرب وتحثهم على مقاومتها والانطلاق بحركات جهادية مدافعة عن الوطن .

[... فلو سألتني : ما السبب الوحيد في ضعف المسلمين ؟]

لقلت : الغاية في ضعف الدين .

ولو سألتني : ما سبب ضعف الدين في المسلمين ؟

لقلت : زخارف الدنيا ونفوذ الروح الغربية التي دخلت فيهم ، ففرقت بينهم ، ومزقتهم كل ممزق ، وتركتمهم يخربون صياصي عزهم بأيديهم . [(١٥)] .

والجهاد الذي يقوم به المراجع هو تقوية لشوكة المسلمين وحصانة وقائية مناعية تصد أيادي الغل والجور وتهد امبراطوريات الاستكبار وتمنع مد سيطرتهم على العقول والوطن .

[شن الوهابيون عام ١٨٠٦/١٢٢١ غارتهم السنوية المعتادة على بعض المناطق الجنوبية العراقية ، ثم شنوا هجوما مفاجئا على النجف ، فصدهم النجفيون من وراء السور وكسروهم شر كسرة .وبسبب الخشية من تكرار هجوم الوهابيين على النجف سعى كاشف الغطاء لبناء سور جديد للنجف يكون أكثر قوة ومتانة لسلامة المدينة] (١٦)

ومن مواقف علماء الدين التي سجلتها أقلام المفكرين مواقف كاشف الغطاء في حماية الشيعة فقد ورد : [...فاتجه إلى تحصين مدينة النجف أمام الاعتداءات المترتبة ، كما سعى لتعبئة طلاب العلوم الدينية والعلماء والأهالي بشكل عام للمواجهة المسلحة ، وجلب لهم السلاح ، وفتح مراكز تدريب قتالية . فكانوا يخرجون خارج البلدة كل يوم للتدريب عليه فرضا من فروض الإلزام الديني .] (١٧)

الفصل الثاني : دوافع المرجعية في الدفاع عن الدين ومواجهة التيارات المنحرفة .

١-دوافع ثقافية :

*دوافع دينية .

* دوافع وطنية .

٢-دوافع اجتماعية :

*حماية التراث الوطني والعادات الأصيلة.

*حماية أواصر الوحدة الوطنية الدينية .

الفصل الثاني : دوافع المرجعية في الدفاع عن الدين ومواجهة التيارات المنحرفة

إن المشروع الإنساني الذي قامت لأجله المرجعية يستبطن دوافع متعددة للقيام به والاندفاع نحو جعله حيا على أرض الواقع لا أن يكون حيز النظرية فحسب .

ومن المحفزات والأسباب التي جعلت المرجعية تحرك الكتل الوطنية والحزبية الشبابية عدة ومنها :

١-دوافع ثقافية :

الثقافة باب يفتح في وجه من أراد نيل نور العلم والمعرفة واكتساب الحقائق خوفا من التيه والضياح وإدراكا لما للثقافة من دور في تمدن الأمة .

فلا يخفى على أحد دور الثقافة في تدعيم مرتكزات المجتمع العلمي وهي من أبرز الصور الدالة على رقي دولة أو حكومة .

وتنقسم الدوافع الثقافية في بحثي إلى :

*دوافع دينية .

*دوافع وطنية .

أما الدوافع الدينية : فهي تلك الأسباب الدينية التي تدفع المرجعية للدفاع عن الدين ومواجهة التيارات المنحرفة بهدف حماية الدين من الانحراف والمحو كما حصل في الديانات السابقة من تحريف كما في دين النصارى و اليهود.

قال رب العزة في محكم كتابه العزيز: { من الذين هادوا يحرفون الكلم عن مواضعه { (١٨) .

ومواجهة التيارات المنحرفة واجبة كي لا يؤدي التغافل عنها إلى ضياع رأس مال المجتمع وهو الدين الذي لطالما حث الأئمة الـعظماء (عليهم السلام) على الدفاع عنه وعن مقدساته .

قال أمير المؤمنين علي (عليه السلام) : " إذا حضرت بلية فاجعلوا أموالكم دون أنفسكم ، وإذا نزلت نازلة فاجعلوا أنفسكم دون دينكم واعلموا أن الهالك من هلك دينه والحريب من حرب دينه ."(١٩).

فقد قرن الإمام علي (عليه السلام) هلاك النفس بهلاك الدين وهذا يعني أن الدين هو قوام الوجود الإنساني وبدونه يعتبر ميتا .

فلا حياة حقيقية بدون دين بل هي وهم وزخرف يعيشه مثل سائر الحيوانات ويكون العقل والجوارح فيه معطلة عن غايتها التي أرادها رب الجلالة .

*دوافع وطنية .

ومن الدوافع التي جعلت ثورة العلماء الدينيين كالبركان تصعد منها نيران الانتفاضة ضد الشر والأذى التي تدرك المرجعية ماهيته وحقيقة تحركاته ضد المجتمع المسلم مع استيعاب كامل لأهدافها الرذيلة والفسادة .

فالوطن وهو الحدود الجغرافية لحكومة أو بلد ما يعتبر من الثروات الهامة جدا لبقاء مجتمع مستقل بحد ذاته لا تتعدى عليه غير دول ولا تغتصب حقوقه .

فالوطن هذه المساحة المعروفة من الأرض وما فيها من نعم الله تعالى لعباده مذكورة كي يبنوا عليها حكومات صالحة تضمن لمواطنيها الحرية والاستقلال وغيرها من الحقوق الشرعية والمدنية التي لو صارت بأيدي الاستعمار والتيارات المنحرفة لجعلتهم عبيدا تحت أقدامهم وأذاقتهم ألوان الوهن والعذاب .

[..لقد أصبح التحرر اليوم أكثر صعوبة وتعقيدا ، ولو أن الوعي الثوري الموجود بين أبناء الإسلام هذا اليوم قد وجد لدى الأمة في العقد الماضي ، لكان المسلمون هم الحاكمون ، ولما سيطر على رقاب المسلمين الطغاة والعملاء والأحزاب الكافرة ، كحزب البعث الحاكم في العراق ...] (٢٠)

والوعي المطلوب من أبناء المجتمع تحصيله من خلال الرجوع لأولي الأمر أي المرجعية .

والمرجعية تقوم بالإعداد للدفاع عن الوطن بكل ما أوتيت من سبل وطرق .
قال تعالى : { وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل ترهبون به أعداء الله وعدوكم ... } (٢١).

٢-دوافع اجتماعية:

تجمع المواطنين أحكام اجتماعية وعلاقات تربطهم ببعض ضمن عادات وتقاليد وأصول متعارف عليها وتتميز بأنها أخلاقية ضمن المجتمع الذي تحكمه مقررات المرجعية أو قوانين الإسلام الأصل .

والتراث جزء لا يتجزأ من مظاهر المجتمع ويحفظ للوطن هويته والدين يدعم قيام تلك العادات الاجتماعية والتي تكون بصبغة دينية .

فيأتي دور المرجعية في جعل الدوافع الاجتماعية من أسس قيام النهضة والثورات الإسلامية لتبقى حياة الشعوب محفوظة بلونها الأصل ولا تتلون بلون الغرب والثقافة الواردة منهم .

ومن الخطب الواردة في هذا الشأن عن آية الله السيد روح الله الخميني (قدس سره) :

[...نحن نعلن بأننا مستعدون لاستقبال كل أنواع المصائب من أجل الحفاظ على استقلال دولة الشيعة وحماية الدين ، ونعلن لهؤلاء الذين يقولون لا ينبغي للعلماء أن يتدخلوا في السياسة : أن ديننا دين الإسلام وسياستنا إسلامية ، ولا يستطيع المسلم أن يقف بمعزل عن الأمور السياسية والنظارة في أمور الدولة الإسلامية ، فكيف بالفقهاء و المجتهدين الذين لهم مقام الزعامة الشرعية والنيابة العامة .] (٢٢)

من الدوافع الاجتماعية:

* حماية التراث الوطني والعادات الأصيلة .

* حماية القيم والمبادئ الأخلاقية .

* حماية أواصر الوحدة الوطنية الدينية.

* حماية التراث الوطني والعادات الأصيلة :

أخذت المرجعية على عاتقها الدفاع عن مقتضيات ومقومات المجتمع الإسلامي ومنها التراث والعادات التي جمعت المواطنين وقربتهم ليكونوا كتلة وطنية واحدة بدون تفرقة.

والشرع لا يخالف كل ماهو أخلاقي وينفع مصالح الوحدة الوطنية ويقوي العلاقات الاجتماعية : كالتزاور فيما بينهم وكذلك الفنون التشكيلية والصناعات التراثية وحفة الموروثات التاريخية والآثار التاريخية للوطن الواحد بل يحث الدين والشرع على

البحث عما يوحد الشعوب ويجعلها تحت خيمة إنسانية واحدة تحكمها قوانين إلهية وترعاها .

ومن الأمثلة على صدور فتوى الجهاد للدفاع عن الوطن وتراثه : [....وقد أفتى مجتهدو الشيعة في العراق – وهم قدوة في جميع الأقطار – بوجوب الجهاد في الحرب العامة الأولى وباشره جماعة منهم فخرج السيد محمد سعيد الحبوبى النجفي والشيخ فتح الله المعروف بشيخ الشريعة الأصفهاني والسيد مهدي آل حيدر الكاظمي وكلهم من كبار العلماء إلى ساحة القتال في ناحية البصرة وبقيادتهم الألوف المؤلفة من شيعة العراق ...] (٢٣) .

ومن الخطب الواردة عن آية الله المجاهد روح الله الخميني (قدس سره) : [...إننا مكلفون بتأمين الظروف الاجتماعية المساعدة لتربية العناصر المؤمنة والفاضلة أيضا هذه الظروف تعاكس ظروف حاكمة الطاغوت والسلطات غير الشرعية بشكل كامل. فالظروف الاجتماعية الناشئة من حاكمة الطاغوت ونظام الشرك يترتب عليها هذه المفساد التي نراها . وهذا هو الفساد في الأرض الذي يجب دن يزال من الوجود] (٢٤).

وتعتبر العادات الأصيلة والتراث من الظروف الاجتماعية التي على أفراد المجتمع المحافظة عليها من غدر التيارات المنحرفة التي عبر عنها المجاهد آية الله الخميني (قدس سره) بالطاغوت .

*حماية القيم والمبادئ الأخلاقية :

الأخلاق ركيزة أساسية من ركائز المعاملات الاجتماعية وبها نادى جميع الديانات والرسالات السماوية ؛ لأنها تعكس الصورة الإنسانية المثلى وتبث مفاهيم الوجود الإنساني بما هو إنسان عاقل مدرك لتصرفاته .

والأخلاق نستطيع أن نعبر عنها بأداة التحكم العظيمة بسلوكيات الفرد وتقومه وتجعل طريق حياته خاليا من السقوط والتدهور في مهالك الهوى والشهوات الحيوانية وتبني الإنسان بناء تفاعليا ضمن مجتمعه .

قال رب الجلالة في كتابه الحكيم : { يا أيها الذين آمنوا من يردت منكم عن دينه فسوف يأتي الله بقوم يحبهم ويحبونه أذلة على المؤمنين أعزة على الكافرين يجاهدون في سبيل الله ولا يخافون لومة لائم ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله واسع عليم . } (٢٥).
*حماية أواصر الوحدة الوطنية الدينية :

تحصن المرجعية مبادئ الوحدة الوطنية وتدعو للتمسك بها ، فبالوحدة الجماعية تحت ظل دولة واحدة تقوى على الأعداء وتستطيع مواجهتهم بدون تفرقة وخلاف .
والمرجعية تسعى بمقدراتها إلى حل مواقع النزاع المسبب لشرخ بين صفوف الأفراد وتدعو إلى فهم طرق التوحيد فيما بينها وكسب سبل التوحيد بكافة الأشكال .
والدين هو أساس وحدة الشعوب والملل وكذلك اللغة وغيرها من المرتكزات الوجدانية.

تأتي التيارات المنحرفة لخلق نزاعات وفروقات بين المسلمين والمواطنين ببث الفتن والشائعات ، وتعتمد فنون زرع الخلافات ووسائل إعلامها للمستهدفين .
قال تعالى: { يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا اليهود والنصارى أولياء بعضهم أولياء بعض ومن يتولهم منهم فإنه منكم إن الله لا يهدي القوم الظالمين * فترى الذين في قلوبهم مرض يسارعون فيهم يقولون نخشى أن تصيبنا دائرة فعسى الله أن يأتي بالفتح أو أمر من عنده فيصبحوا على ما أسروا في أنفسهم نادمين } (٢٦).

يدعو الدين الإسلامي إلى التوحد وعدم جعل محل للنزاعات فيما بينهم والحفاظ على الاحترام المتبادل والمودة وهذا ماتدعو له المرجعية كذلك وهي صوت الحق الإلهي.
الإسلام دين لايعرف القومية والحدود المصطنعة ، بل جاء ليصهر جميع القوميات في بوتقة واحدة .

ففي خطاب جميل ورد عن آية الله الخميني (قدس سره) : [....ثمة كلمة أخرى أتوجه بها إليكم وإلى أهالي كردستان وأدعو أهالي كردستان والمناطق المحيطة بها إلى عدم الإنخداع بأحاييل هؤلاء المنحرفين . إنهم يرددون مزاعم تتعارض مع توجهات الإسلام والقرآن الكريم . إنها مزاعم عنصرية تدعو للفصل بين الأكراد والفرس والزر ، وأن يكونوا بمعزل عن بعضهم البعض . بيد أن الإسلام جاء للقضاء على هذه الحواجز وإزالة هذه الفواصل . فنحن جميعا وكافة المسلمين نسير قدما تحت لواء (لا إله إلا الله) والتوحيد . وأن نكون كيانا واحدا يعمل على نشر الإسلام .] (٢٧) .

الفصل الثالث : وسائل المرجعية وأساليبها في الدفاع عن الدين ومواجهة التيارات المنحرفة .

١- وسائل إعلامية :

* إقامة المؤسسات الدينية التبليغية التخصصية .

* نشر الكتب والجرائد .

* المهمات الدبلوماسية .

* معسكرات للشباب المسلم .

* بث المبلغين والمتخصصين الثقافيين الدينيين في مناطق العوز الفكري .

* الوسائل الإلكترونية وتسخير الفضاء المجازي والانترنت للهدف المرجو .

* إعداد الأفلام الوثائقية والسينمائية .

٢- الوسائل الجهادية الحربية الدفاعية والمقاومة .

* خطابات المرجعية العقائدية التشويقية .

* التحرك النفسي .

* التحرك العملي .

* المواجهة بكافة الوسائل المتاحة .

الفصل الثالث : وسائل المرجعية وأساليبها في الدفاع عن الدين ومواجهة التيارات المنحرفة .

ثلة من المؤمنين أفاض الله تعالى عليهم بالهمة العالية والإصرار والتصميم على الدفاع عن دين الخالق جل وعلا وبمواجهة ما يخرب المجتمع ويضلله من تيارات منحرفة تتمثل بألوان وأشكال مختلفة منها : الاستعمار والاحتلال ومنها على شكل ثقافة غربية تحاول سحب الشباب للإنحلال الأخلاقي الذي يؤدي إلى تعطيل وظيفة ودور الشباب في بناء هيكليّة المجتمع ويصبح مجتمعا مسنا خاليا من التجدد والتطور العلمي والفكري ، خاليا من الإبداعات والإنجازات الباعثة لمفخرة الأمة الإسلامية . وتحارب المرجعية التيارات الإلحادية والمادية الماركسية التي تحجر الفكر وتحدد الوعي بحدود مادية ويصبح قاصرا عن فهم معنى الحياة الروحية وحاجتها للغذاء المعنوي المتمثل بالعبادة وهي الحرية المطلقة وميدان العشق الإلهي اللامتناهي في دنيا سادتها غياهب المادية والقيمة المالية .

فسارت المرجعية مسارا استراتيجيا منظما وفق برامج وضعتها باتباع وسائل وأدوات تكافح بها تلك التيارات المنحرفة سواء أكانت فكرية أو احتلالية استعمارية كما نلاحظ اليوم حركة داعش الإرهابية وجبهة النصرة وغيرها من التيارات التي صارت في قالب التكفير والقتل والتذبيح وأهانت مقام الإنسانية لتصبح بمستوى الوحشية .

أهم الوسائل المتبعة من قبل المرجعية المعظمة لحفظ الدين ومواجهة التيارات الضالة مايلي :

١-وسائل إعلامية :

الإعلام بكافة صوره له ذاك التأثير البالغ والبلغ في المواجهة وله إقبال من قبل الشعوب وأقب للأذهان وذلك بسبب قربيه من الحواس كصورة ولون وصوت ومن هذه الوسائل الإعلامية :

*إقامة المؤسسات الدينية التبليغية التخصصية :

أنشأ المراجع مؤسسات تبليغية تتكفل بدورها الإجابة على تساؤلات المواطنين وتقدم خدماتها الثقافية والتوعوية من خلال إعداد برامج ثقافية و دورات علمية تمد الشعب بما يلزمه من مواهب وكفاءات تواجه بها الفكر الغربي والفكر المنحرف المعارض للفكر الإسلامي الأصيل .

من هذه الدورات : دورات تعليم الأحكام الفقهية ودورات أساليب التبليغ الديني ودورات التأليف والتحقيق العلمي ودورات بناء الذات وتحقيق الأهداف ودورات حفظ القرآن الكريم ومسابقات في حفظ الروايات والخطب الشريفة الواردة عن آل بين النبي الأكرم (صلى الله عليه وآله وسلم) وغيرها من تلك الخدمات التي لاتسعى لنيل منافع مادية بل جل غرضها تنمية الأفراد فكريا وتسليحهم بسلاح الوعي والعلم والمعرفة .

*نشر الكتب والجرائد :

فالمرجعية تقدم دعمها المادي لكل من تجد في مؤهلاته العلمية مقومات التأليف والتحقيق العلمي وتساعد على نشر المؤلفات التي تحيي السنن الإلهية وتنشر علوم ومعارف أهل البيت (عليهم السلام) وتقوم بمسابقات في هذا المجال لنشر الكتب المفيدة وإقامة مؤتمرات ومهرجانات تستقطب التأليفات الداعمة لمشروع النهضة الإسلامي .

*المهمات الدبلوماسية :

لاتقتصر علاقات المرجعية على مستوى الأفراد من الطبقات الإجتماعية الوسطى ، بل تبني علاقات تغذي النهضة الإسلامية وتدعمها فترسل البعثات الدبلوماسية للدول المجاورة لفتح باب الحوار والمراسلة وللتعارف والتعرف على الملل والشعوب بغرض نشر الدين الإسلامي المقاوم .

*إقامة معسكرات للشباب المسلم .

*بث المبلغين والمتخصصين الثقافيين الدينيين في مناطق العوز الفكري .

*الإستفادة من الوسائل الإلكترونية وتسخير الفضاء المجازي والانترنت للهدف المرجو.

*إعداد الأفلام السينمائية والوثائقية التي تبين قضايا الدفاع عن الدين ومواجهة التيارات المنحرفة .

٢- الوسائل الجهادية الحربية الدفاعية المقاومة .

*خطابات المرجعية العقائدية التشويقية :

ففي كثير من المناسبات نجد الخطابات الدينية التشويقية الدافعة لحماية الدين ومقدساته ومواجهة التيارات الضالة حاضرة وبشكل بارز وخاصة على وسائل التواصل الإجتماعي وبيئتها مباشرة على قنوات التلفاز الفضائية التي لاتعد ولاتحصى ولايسمح لنا المجال بعرضها هنا كلها والذي يريد أن يطلع عليها فهي متوافرة وبغزارة في وسائل الإعلام المسموع والمقروء والمرئي .

*التحرك النفسي : تعمل المرجعية على تحريك القلوب والنفوس بزرع الإرادة والهمة العالية في نفوس المجاهدين لمواجهة ومحاربة التيارات الضالة بخلق انفعالات ثائرة غيورة على مصالح الأمة الإسلامية .

التحرك العملي : وهو توجه نفس علماء الدين لميادين وساحات الصراع ومواجهة تيارات الكفر والضلال ومجابتها .
*المواجهة بكافة الوسائل المتاحة .

نتائج البحث :

*إن المرجعية لها دور عظيم وهام في بناء المجتمع الإنساني ودورها تربوي تبليغي ورسالي وجهادي ودفاعي .

* الدين من مقومات وجود الإنسان المواطن وكذلك من مقومات وجود المجتمع ومن الدين نستلهم أهمية وجود علمائه للحفاظ عليه كوسيلة موحدة لأفراد المجتمع وكدرع حصين يحميهم ويحفظ هويتهم من الإنحلال والإندثار .

*للمرجعية عدة أسباب منطقية للحفاظ والدفاع عن الدين وكذلك مواجهة التيارات

الضالة ومنها :

-دوافع ثقافية

-دوافع دينية .

-دوافع وطنية

دوافع اجتماعية

حماية التراث الوطني والعادات الأصيلة .

حماية القيم والمبادئ الأخلاقية .

حماية أواصر الوحدة الوطنية والدينية .

*لاتقف المرجعية مكتوفة الأيدي أمام الصفعات الخارجية والغزو الثقافي الغربي والطعنات الأجنبية والحرب التي يشنها قادة التيارات والحركات التكفيرية ، فتلجأ المرجعية لتسخير كل الوسائل المتاحة والعصرية والحديثة لمواجهتها والرد عليها بيد من حديد سواء أكانت وسائل إعلامية ووسائل فكرية ووسائل حربية ثقيلة.

* نستطيع القول بأننا لاغنى لنا عن تلك الفئز النادرة والعظيمة والكنز الإلهي والوصية النبوية وهي المرجعية التي تؤمن لنا مانحتاجه من مستلزمات استمرارية الحياة بنعيم ورفاهية وفق مرضاة الله تعالى ، والعظيم فيها تلك النية الطيبة المكنونة داخل فكرها وروحها وقلبها لتعكس الإيمان من روحها لجميع أرواح المسلمين وهكذا كان النبي الأكرم (صلى الله عليه وآله وسلم) والأنبياء السابقين الذين أرادوا أعداد ركب يسير بمفاهيم العشق الإلهي فكروا وعملا كما كانت ثورة الإمام الحسين (عليه السلام) على الظلم والجور ولطلب الإصلاح وكذلك هي نفس المشروع المهدوي الذي يريده منا الإمام المنتظر (عجل الله تعالى فرجه الشريف) والمرجعية وسيلة تحقيق ذاك الهدف الإلهي .

الهوامش :

- (١)- مفردات ألفاظ القرآن في غريب القرآن ، ص ١٠١.
- (٢)-(٣)-(٤)-المرجعية والأعلمية عند الشيعة الإمامية ، رضا حسين صبح ، دار المحجة البيضاء ، بيروت ، الطبعة الأولى ، ١٤٣٤هـ.ش.
- (٥)-سورة النساء ، الآية : ٥٩.
- (٦) -موقع المعاني الإلكتروني .
- (٧)- ولاية الفقيه ، مصطفى الخميني ، ص ٥ ، مؤسسة العروج ، تهران ، الطبعة الثانية ، ١٤٢٧هـ.ق.
- (٨)-حديث الإمام الخميني (مطاع الفجر) ، ص ٢١ ، وزارة الإرشاد الديني ، الطبعة الأولى ، ١٤٠٣هـ.ق.
- (٩)-سورة الفاتحة ، الآية ٦/٧.
- (١٠)-شذرات خمينية ، مواضيع مختارة بمناسبة ذكرى رحيل سماحة الإمام السيد روح الله الموسوي الخميني (قدس سره) ، ص ٥٥ ، دار الولاية للثقافة والإعلام ، الطبعة الأولى ، ١٤٣٨هـ.ش.
- (١١)- ولاية الفقيه ، أحمد النراقي ، ص ٥١ .
- (١٢)-ولاية الفقيه ، أحمد النراقي ، ص ٤٨ ، دار التعارف ، بيروت ، الطبعة الأولى ، ١٩٩٠م.
- (١٣)- ولاية الفقيه ، مصطفى الخميني ، ص ٢٥ .
- (١٤)-سورة التوبة ، الآية : ١٢٢.
- (١٥)- الدين والإسلام ، محمد الحسين كاشف الغطاء ، ج ١ ، ص ١٢٠ .
- (١٦) _ المرجعية الدينية العليا ، جودت القزويني ، ص ١٩٩ ، دار الرافدين ، الطبعة الأولى ، ٢٠٠٥م.
- (١٧) - نفس المصدر السابق ، ص ١٩٨.
- (١٨)- سورة النساء ، الآية : ٤٦.
- (١٩)- ميزان الحكمة ، محمدي ري شهري ، ص ٢١٠ ، الحديث ٢٢٩٢.
- (٢٠)- الرسائل في معادلات الصراع ، هادي المدرسي ، ص ٤٢ ، المركز الثقافي الإسلامي ، تهران ، الطبعة الأولى ، ١٩٨٤م.
- (٢١)- سورة الأنفال ، الآية : ٦٠ .
- (٢٢) - ولاية الفقيه والحكومة الإسلامية في عصر الغيبة ، وديع الحيدري ، ص ١١٢.نشر الرافد ، الطبعة الأولى .

(٢٣)- الشيعة بين الحقائق والأوهام ، محسن الأمين ، مؤسسة الأعلمي ، بيروت ، ص ١٧٧ ، الطبعة الثالثة ، ١٩٧٧م.

(٢٤)- الحكومة الإسلامية في رؤية الإمام الخميني ، استخراج محسن زين العابدين ، الناشر مركز المصطفى (ص) العالمي ، ص ٨٦ ، مطبعة زلال كوثر ، الطبعة الأولى ، ١٤٣٢ هـ.ق.

(٢٥) -سورة المائدة ، الآية : ٥٤.

(٢٦) - سورة المائدة ، الآية : ٥٣.

(٢٧) - الحكومة الإسلامية في رؤية الإمام الخميني ، ص ٧٩.